المحاضرة الثانية: التنافس الأوربى على إفريقيا بعد 1870

عرفت إفريقيا بعد النصف الثاني للقرن 19م تزايدا لنشاط الأوربيين بدواخل القارة الإفريقية مستخدمين مختلف الوسائل والاساليب التي تمكنهم من الوصول إلى قلب القارة، واكتساب الكثير من مناطق النفوذ، كما تزايدت السيطرة على الممرات المائية والجزر القريبة من الساحل التي تعتبر متنفس الشعوب الإفريقية.

نشاط القوى الأوربية في إفريقيا 1870- 1880: كانت كل من فرنسا وبريطانيا والبرتغال أهم القوى الأوربية مع بداية السبعينيات المسيطرة على السواحل الإفريقية، حيث أن بريطانيا استطاعت التوغل في جميع المناطق الواقعة في منطقة خليج غينيا، وامتدادا نحو الداخل إلى غاية نيجيريا، وفي شرق إفريقيا تمكنت من التوغل في تنجانيقا، وروديسيا الشمالية والجنوبية، وكينيا، وتحكمت في جميع الممرات المائية هناك، كما كانت تسيطر عمليا على بعض المناطق في جنوب إفريقيا حتى نهر الأورنج، وخليج دالجو، وكانت تستعد للسيطرة على بوتسوانا على الساحل الغربي، كما كانت لها بعض مناطق النفوذ في منطقة المتابييلي في وسط القارة.

ومن جهتها فرنسا كانت قد سيطرت على معظم المناطق الواقعة خلف السنغال وصولا إلى مالي والنيجر، كما وسعت مجال نفوذها في الغابون، واستولت على منطقة على منطقة واسعة من الكونغو على ضفة النهر اليمنى، وكانت تسعى لوضع مدغشقر تحت نفوذها.

وبدورها البرتغال كانت تسيطر على معظم بلاد أنغولا ونهر الكونغو، وبعض الحصون في موزمبيق، كما أن مصر كانت قد فقدت السودان بسبب الحركة المهدية.

دور الملك البلجيكي ليوبولد الثاني في الكونغو: تولى في بلجيكا الحكم في أكتوبر 1865 الملك ليوبولد الثاني خلفا لوالده الذي توفي في 10 أكتوبر 1865، وبعد ست سنوات وصلت أخبار عن الرحالة لفنجستون إلى ليوبولد من خلال الكتاب الذي ألفه 'هنري مورتون ستانلي' الذي كلف بالبحث عنه، وكان الكتاب يتضمن معلومات دقيقة عن دواخل إفريقيا وامتيازاتها، وهو ما جذب أنظاره نحوها، هذا الأمر الذي أدى به إلى عقد المؤتمر الجغرافي الدولي عام 1876 ببروكسل يخص تطورات الرحالة الأوربيين في استكشاف الأرض الإفريقية.

وبعد عامين من ذلك تعاقد ليوبولد الثاني مع ستانلي عام 1878، وكان هذا الأخير قد جاب الكونغو ويعرف عنها الكثير، وقد اتفق معه على راتب سنوي يقدر حاليا بـ 300 ألف دولار في العام مقابل أن يعود ستانلي إلى إفريقيا ويؤسس قاعدة في الكونغو عن طريق عقد الاتفاقيات مع الزعماء المحليين، ثم يبدأ بالتوسع من هذه القاعدة وفي جميع الاتجاهات، وبأقصى مسافة ممكنة، وسميت هذه المجموعة التي يقودها ستانلي بـ رابطة الكونغو الدولية.

وبعد عام أرسل ليوبولد الثاني 12 رحالة لمساعدة ستانلي في مهامه، كما تم تسليح ستانلي بـ 1000 بندقية، و20 مدفع، وأربع رشاشات، وما بين 1879 – 1882 استطاع ستانلي تأسيس مستعمرة ليوبولد داخل الكونغو، وبإخضاع جميع القبائل القريبة من نهر الكونغو إلى سلطته.

دخول ألمانيا ميدان التسابق الاستعماري ودرها في التحضير لعقد مؤتمر برلين 1884/ 1885م

بعد أن حققت ألمانيا وحدتها الوطنية في أوربا عام 1871 أرادت أن تحمي نفسها في أوربا، وتصد باب تنافس الدول الكبرى عليها، قرر على اثرها بسمارك خلق سياسة ترمي إلى إيجاد تنافس أوربي دولي خارج أوربا تكون ألمانيا بعيدة عنه، وكان مؤتمر برلين لعام 1878 قد عقد لذات الأمر، وهو ما تمخض عنه إعطاء إشارة المرور نحو التحرك إلى استعمار إفريقيا، فخرجت قوات بريطانيا واحتلت قبرص عام 1880، ثم احتلت مصر 1882، وتحركت القوات الفرنسية واحتلت تونس 1881، وأيدتها ألمانيا في ذلك.

عندما حلت سنة 1880 اتضح أن الخلاف الدولي قد سقط، وانكشفت مطامع ليوبولد الثاني في الكونغو، وكانت فرنسا تسعى بدورها للسيطرة على المنطقة، فدخل الطرفان في تنافس على هذه المناطق عن طريق 'دي برازا' لصالح فرنسا، والذي نجح في عقد اتفاقيات مع الزعماء المحليين (الإفريقيين) في الشاطئ الشمالي لنهر الكونغو سنة 1880، وبذلك وضع حجر الأساس لمستعمرتي الكونغو برازافيل والغابون.

ومن جهته ستانلي كان قد مارس نفس المهام لصالح ليوبولد الثاني في الضفة اليسرى من النهر، وهو ما أزعج فرنسا وبريطانيا.

وفي خضم هذا الصراع أثارت بريطانيا البرتغال للمطالبة بحقوقها القديمة في المنطقة، وهو ما زاد من تصعيد الأمور، وأصبحت معظم القوى تتنافس على هذه المنطقة، مما انجر عنه عقد اتفاقية عام 1883 اعترفت فيها بريطانيا بحقوق البرتغال في مصب نهر الكونغو مقابل السماح للتجار والمبشرين التجول والتجارة في المنطقة، وبهذا نستنتج أن كل من فرنسا وبريطانيا والبرتغال وبلجيكا كانت لها مطامع في منطقة الكونغو.

ومن جهة أخرى أثار موضوع التاجر الألماني الذي يعمل في منطقة ناميبيا الخلاف بين بريطانيا وألمانيا، حيث أن بريطانيا رفضت وجوده فيها لأنها تعتبر ناميبيا من المناطق التي وضعت يدها عليها، وإزاء هذا الرفض قرر بسمارك إقامة مستعمرات في إفريقيا، ويعتبر قراره هذا تحول في السياسة الاستعمارية بإفريقيا، واتخذ بسمارك خطوات فعلية لتنفيذ هذه السياسة عندما أعلن أن منطقة جنوب غرب إفريقيا بأكملها تحت الحماية الألمانية، وفي

نفس الوقت عرض على وزير على المستعمرات الفرنسي رغبته في التعاون معها ضد بريطانيا، ووافق الطرفان على ذلك، وأعلنا اعتراضهما وعدم اعترافهما بالمعاهدة البرتغالية البريطانية حول نهر الكونغو.

أما في شرق إفريقيا فإن تأثير الرأسماليين الألمان هم من ضغطوا على بسمارك في خوض غمار المنافسة الإفريقية، وذلك لاقتناعهم بجدوى هذه المناطق اقتصاديا، ولم تترد الحكومة الألمانية في إجابة رغبتهم بعد أن أخذ التجار الألمان يشيرون إلى ضرورة إيجاد مستعمرات لترويج تجارتهم.

وبالعودة إلى سنوات السبعينيات وبالتحديد عام 1878 كانت قد أُنشِئت في ألمانيا الجمعية الألمانية للدراسات الإفريقية بمدينة برلين، أخذ التجار والمستكشفون يعملون في المنطقة بين زنجبار وتنجانيقا، وفي عام 1882 أُنشِئت الجمعية الألمانية للاستعمار، والتي في ظرف وجيز استطاعت أن تبرم 12 اتفاقية مع الزعماء المحليين كلها كانت تحت القائد العسكري 'كارل بيترز' الذي سرعان ما انتقل إلى الداخل (داخل تنجانيقا)، وبها حصل التنافس بين ألمانيا بقيادة بيترز وبريطانيا بقيادة 'ساليزبوري' حول السيطرة على تنجانيقا مما سيؤدي بعد بضع سنوات إلى عقد اتفاقيات بينهما لتسوية ذلك التنافس وتقسيم شرق إفريقيا فيما بينهما.